بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام
www.islamlight.net

شرح الأصول الثلاثة

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تأليف

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

أعد أصله

اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام

راجعه وقرأه على المؤلف

عبد الرحمن بن صالح السديس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأُمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أمّا بعد:

فهذا شرح مختصر على «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ألقاه الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر البراك في أحد مساجد مدينة الرياض، رغبت مؤسسة (**شبكة نور الإسلام**) بمراجعته وعرضه على الشيخ لإقراره وتعديله وإخراجه على صورة كتاب مقروء؛ ليعمّ به النفع.

وكان المنهج الذي سُلِك في هذا الشرح كما يلي:

١ ـ مراجعة النص والتأكد منه.

٢ ـ تهيئته وتنسيقه ليتناسب مع الطباعة.

٣ ـ عزو الآيات إلى أماكنها من المصحف.

٤ ـ تخريج الأحاديث وذلك باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتُفِي بذلك، وإن كان في غيرهما فإنه يقتصر في الغالب على الكتب الستة، مع ذكر كلام المحدثين في صحة الحديث وضعفه، ولا يُستقصى ذلك.

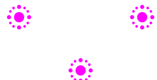
٥ ـ عزو الأقوال إلى قائليها وأماكنها.

٦ ـ ضبط المتن على طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، وجعله بين قوسين، بلون أحمر.

٧ ـ قراءة الشرح على الشيخ لتعديل أو حذف أو إضافة أو إصلاح ما يراه مناسباً.

وفي الختام نحمد الله جلّ جلاله أنْ يسّر إتمام خدمة هذا الكتاب، ونسأل الله أن نكون قد وُفِّقنا في ذلك، وبالله التوفيق فهو نِعم المعين. والله أعلم وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المكتب العلمي
في مؤسسة شبكة نور الإسلام
www.islamlight.net



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلّم على نبيّه محمّد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في هذه الرسالة القيِّمة المعروفة بـ«الأصول الثلاثة»: **(اعلم)** هذا خطاب لطالب العلم؛ والمعنى: تعلّم، واجتهد في العلم.

وقوله: **(رحمك الله)** هذا من تلطف الشيخ بطلّاب العلم بالدعاء لهم، ومن رحمه الله؛ أفلح وسَعِد، ونال خير الدنيا والآخرة.

وقوله: **(أنه يجب علينا تعلّم أربع مسائل)**؛ أي: أربع مسائل يجب علينا معرفتها.

(الأولى: العلم)، والعلم منه ما هو فرض عين على كلّ مكلّف، ومنه ما هو فرض كفاية.

(وهو: معرفة الله) بأسمائه وصفاته، **(ومعرفة نبيّه)** محمد ﷺ، **(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**.

وهذه المعارف الثلاثة هي: الأصول الثلاثة التي سيتكلّم عنها الشيخ إجمالاً وتفصيلاً.

(الثانية: العمل به)؛ لأن هذا هو المقصود من تعلّم العلم، وليس المقصود مجرد تحصيل معلومات في الذهن، وإنما المقصود بالعلم الشرعي، هو: تحقيق الإيمان، والعمل الصالح؛ فالعلم بلا عمل يكون وبالاً على صاحبه، وحجة عليه ـ نعوذ بالله ـ.

(الثالثة: الدعوة إليه)، فإذا اجتهد الإنسان وحصَّل علماً، وعمل به

فعليه ـ أيضاً ـ أن يُعلِّم، ويدعو، ويأمر وينهى، وينفع الآخرين؛ لأنّ هذه وظيفة الرسل وأتباعهم.

(الرابعة: الصبر على الأذى فيه)؛ لأن مَن تصدّى لدعوة الناس وأمْرهم ونهيهم عمَّا تعوّدوه؛ لا بدّ أن يحصل له منهم أذى بالكلام وبالفعل، فلا بدّ له من الصبر على ذلك، وهكذا قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

فالصبر هو أساس القيام بالمهمات والأعمال الصالحة.

قال الشيخ: **(والدليل)** على هذه المسائل **(قوله تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر])**، فهذه السورة ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ وهذا قسمٌ من الله، والله سبحانه وتعالى يُقْسم بما شاء من خلقه، والعصر هو: الدهر المكوّن من الليالي والأيام، والشهور والأعوام[1]، وهو عُمر الإنسان، وهو ميدان العمل.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ هذا هو المُقسم عليه، و(الـ) هنا للجنس؛ والمعنى: أنّ كل إنسان في خسارة، والخُسر: ضدّ الربح، إلّا من استثنى الله بقوله:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، فمن حقَّق هذه الأركان الأربعة؛ فاز بالربح العظيم، ونجا من الخسران، فحظّ الإنسان من الربح بحسب حظّه من هذه الخصال الأربعة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والإيمان لا يكون إلا بعلم، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٨٩.

وهذا ثمرة العلم والإيمان، فمن رزقه الله العلم والإيمان، عَمِلَ الصالحات.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: نصح بعضهم بعضاً، وذكَّر بعضهم بعضاً، والحق: يشمل العلم والإيمان، والعمل الصالح.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة العمل الصالح، وهو يدخل في الإيمان، فهذه الأمور الأربعة بعضها يدخل في بعض، فعطف الأعمال الصالحة على الإيمان، وعطف التواصي على عمل الصالحات، كلها من عطف الخاص على العام.

فدلّت هذه السورة على المسائل الأربع التي ذكرها الشيخ:

١ ـ مسألة العلم يدلّ لها قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢ ـ ومسألة العمل يدلّ لها قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ ومسألة الدعوة يدلّ لها قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ ومسألة الصبر يدلّ لها قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

(قال الشافعي رحمه الله تعالى) الإمام المعروف محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة المتبوعين:

(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)[(١)].

ومراده أنها سورة موجزة مختصرة، إلّا أن لها دلالة عظيمة، حيث إنها دلّت على أن الناس فريقين: خاسر ورابح، وفيها ذِكر أسباب الربح والفوز والفلاح.

(وقال البخاري رحمه الله تعالى) الإمام محمد بن إسماعيل صاحب

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستقامة» ص٤٨٢؛ وابن كثير في تفسيره ١/ ٢٠٥ بنحوه.

الصحيح في كتابه «الجامع الصحيح» في «كتاب العلم»: **(بابٌ: العلمُ قبل القول والعمل. والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾** [محمد: ١٩])[1].

قال الشيخ: **(فبدأ بالعلم قبل القول والعمل)**؛ أي: بدأ الله في الآية بالعلم قبل القول والعمل، وهو: الاستغفار، فأمر الله أولاً: بالعلم بالتوحيد ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أمر ثانياً: بالاستغفار فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وهو من العمل.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اعلم رحمك الله)** هذا من جنس ما قبله. **(أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّم ثلاث هذه المسائل والعمل بهنّ)**؛ معناه: أن العلم بمسائل الدين فرض على كل مسلم ومسلمة، على الرجال والنساء، فرض عين أو فرض كفاية، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

(الأولى)؛ أي: المسألة الأولى من المسائل الثلاث؛ أن نعلم **(أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً)**؛ أي: مهملين لا نؤمر ولا نُنهى، ولا نسير على منهج قويم، **(بل)** إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد **(أرسل إلينا رسولاً)** بالهدى ودين الحقّ **(فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار)**.

هذه المسألة الأولى، ومعناها: الإقرار بتوحيد الربوبية، ومن ربوبيته تعالى إنعامه على عباده، وأعظم نعمه على عباده إرسال الرسل، وإنزال الكتب لتعريف العباد بربّهم، وبحقّه عليهم.

قال: **(والدليل)** على هذه المسألة: **(قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾)** [المزمل]، فاستدلّ على الرسالة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾؛ أي: أرسل تعالى إلى الناس محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤ بنحوه.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾، وهو: موسى وهارون عليهما السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: كذَّب فرعونُ موسى وهارون، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، قال الله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أخذه الله أخذاً وبيلاً؛ أي: شديداً، بأن أغرقه وجنوده في البحر؛ فالمعنى: فاحذروا أن تكذّبوا رسولكم فيأخذكم كما أخذ فرعون ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

والدليل على أن الله خلقنا ورزقنا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٤٠].

(الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته؛ لا مَلَك مقرّب، ولا نبيّ مرسل).

وهذه المسألة هي مسألة توحيد العبادة، وهو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يُشرك معه في عبادته، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وما دونهما من باب أوْلى.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن])، فنهى عن دعاء غيره سبحانه.

فتضمّنت المسألة الأولى توحيد الربوبية، وتضمّنت المسألة الثانية توحيد العبادة، ولا يكون الإنسان مسلماً حتى يُقرّ بالتوحيدين جميعاً، فلا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية، فقد أقرّ به المشركون ولم يُدخلهم في الإسلام.

المسألة **(الثالثة: أنّ مَن أطاع الرسول ووحَّد الله)** أن من أطاع الرسول كما في المسألة الأولى، ووحّد الله كما في المسألة الثانية **(لا يجوز له موالاة مَن حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب)** لا يجوز له أن يحبّ أعداء الله، وأن يحتفي بهم، وأن يُكرمهم وأن يعظّمهم، فلا تجوز موالاة من حاد الله ورسوله من الكفار والفجّار، والمحادّة تُطلق على:

المعاداة والمخالفة الشديدة، ويُعبَّر عنها بالمشاقَّة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر].

(والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة]). لا تجد قوماً مؤمنين يوالون الكافرين؛ لأنّ الإيمان يمنع من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١]؛ ولكنهم لا يؤمنون بهذه الثلاثة، فاتخذوهم أولياء، وهذا الكلام يعود إلى الذين قال الله فيهم: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، وهنا قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فإذا وجدنا من يوادّ ويوالي ويعظّم الكافرين المحادّين لله ورسوله؛ علمنا أنه ليس بمؤمن؛ لأنّ المؤمنين لا يكونون كذلك، قال الله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة]، ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾.

فهؤلاء المؤمنون الصادقون لأعداء الله؛ هم الذين كتب الله الإيمان في قلوبهم، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ﴾، وهؤلاء هم حزب الله، وحزب الله هم المفلحون، وقد ذكر الله هؤلاء في مقابل حزب الشيطان، وهم: الكفار والمنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿يَوْمَ

يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة]، هما حزبان، فعاقبة حزب الشيطان الخسارة، وعاقبة حزب الرحمٰن الفلاح والفوز، والظفر بالمطلوب والمحبوب والنجاة من المرهوب.

ثم قال الشيخ: **(اعلم)** أمْر بالعلم وفيه توجيه وتنبيه وتعليم، **(أرشدك الله لطاعته)**؛ أي: وفّقك الله وهداك لطاعته، وهذه عادة الشيخ يصدر بعض الدروس بالدعوة لطالب العلم.

(أن الحنيفية ملّة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين).

الحنيفية نسبة إلى الحنيف، والله ﷻ وصف إبراهيم عليه السلام بأنه حنيف، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، وجاء في الحديث: «**بُعِثت بالحنيفية السَّمحة**»[(١)]، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل]، فالملّة الحنيفية ملّة إبراهيم هي: عبادة الله وحده لا شريك له، بإخلاص الدين له ﷻ.

يقول الشيخ: **(وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها)**؛ أمر الله جميع الناس بإخلاص العبادة له، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فالله أمر جميع الناس أن يعبدوه وحده لا شريك له، وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد خلق الله الجنّ والإنس ليعبدوه

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٦٦ من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه، وضعّفه ابن رجب في «فتح الباري» ١/١٤٩؛ والعراقي في المغني ٤/٢٣٤. وانظر: «المقاصد الحسنة» ٢١٤، فقد ذكر له عدة شواهد.

وحده لا شريك له، (كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]).

قال الشيخ: (ومعنى يعبدون: يوحّدون)؛ أي: يعبدوه ﷻ وحده لا شريك له، والعبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، فإذا دخلها الشرك أفسدها، ولم تكن عبادة، فمن عبد مع الله غيره، فإنه لا يُعدّ عابداً لله.

قال الشيخ: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد)، فأوجب الواجبات على الإطلاق هو توحيد الله بالعبادة، وهذا هو معنى «لا إلٰه إلا الله»، وهي أول واجب على العبد.

وأعظم الذنوب هو الشرك الأكبر، ويختص من بين سائر الذنوب بثلاثة أشياء:

أولاً: أنه لا يُغفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ثانياً: أنه يحبط جميع الأعمال، فمن عَبِد مع الله غيره حَبِطت سائر أعماله.

ثالثاً: أنه موجب للخلود في النار لمن مات عليه، فمن مات على الشرك الأكبر؛ فهو مخلّد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة].

قال الشيخ: (وهو)؛ أي: التوحيد: (إفراد الله بالعبادة).

(وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه) واتخاذ الندّ له، قال ابن مسعود رضي الله عنه: سألت النبيّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً، وهو خلقك**»[1]؛ أي: مِثْلاً.

(والدليل) على هذا (قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)؛ ومسلم (٨٦).

شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦])، فأمر بعبادته ونهى عن الشرك به، فيجب على كل مسلم أن يجتهد في تحقيق التوحيد، وأن يحذر من الشِّرك الأكبر، يقول ابن القيِّم:

والشركُ فاحذره فشركٌ ظاهرٌ ذا القسم ليس بقابلِ الغفرانِ
وهو اتخاذ الندّ للرحمٰن أيّـ ـاً كان من حجر ومن إنسان
يدعوه بل يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديّان[1]

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربّه، ودينه، ونبيّه محمداً ﷺ)**، هذه هي الأصول التي سمّيت بها هذه الرسالة «الأصول الثلاثة»، وهي أُصول العلم الشرعي، أو أُصول المعرفة الصحيحة.

الأصل الأول: معرفة العبد ربّه؛ بأنه الله الخالق لكل شيء المتفضّل على عباده بجميع النِّعم، المستحق للعبادة.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ، بما يشتمل عليه من عقائد وأحكام.

الأصل الثالث: معرفة النبيّ ﷺ؛ أنه رسول من عند الله إلى الناس كافة جاء بالهدى ودين الحقّ.

وهذه الأُصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، وهي فتنة القبر؛ كما جاء في حديث البراء الطويل في صفة قبض روح المؤمن والكافر، وأن المؤمن إذا وُضِع في القبر «**يأتيه ملكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربّك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟**» قال: «**فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يُدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت، فينادي مُنادٍ من السماء؛ أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة**

(١) «الكافية الشافية» ص١٨٩.

وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنّة»، قال: «**فيأتيه من روحها وطيبها**»، قال: «**ويُفسح له في قبره مدّ بصره**»، قال: «**وإن الكافر إذا وُضِع في قبره يأتيه ملكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مُنادٍ من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار**»، قال: «**فيأتيه من حرِّها وسمومها**»، قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»[(١)].

ويمكن أن يقال عن هذه الأُصول الثلاثة: معرفة الرسول والمرسل والرسالة، فالله هو المرسِل، ومحمد رسوله، ودين الإسلام هو الرسالة التي جاء بها.

وقد ذكر الشيخ هذه الأُصول مجملة، وسيتكلم عنها بالتفصيل واحداً واحداً بطريقة السؤالِ والجوابِ، وطريقةُ السؤال والجواب طريقة تعليمية جيّدة ومفيدة.

ثم شرع الشيخ رحمه الله تعالى في تفصيل الأصل الأول، فقال:

(فإذا قيل لك: مَن ربّك؟ فقل: ربّي الله الذي ربّاني)؛ أي: خلقني وأنشأني **(وربّي جميع العالمين بنِعمه)**، فهو المنعم على العباد بكلّ ما لديهم من النِّعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وهذا المعنى مأخوذ من معنى الربّ، فالربّ ـ كما سيأتي ـ من معناه: المالك والمنعم، والمعبود.

قال: **(وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه، والدليل قوله تعالى:**

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٨٧؛ وأبو داود (٤٧٥٣)؛ وصححه ابن خزيمة في التوحيد ص١١٩؛ وابن جرير في تهذيب الآثار ـ مسند عمر رضي الله عنه ـ ٢/ ٤٩١، من حديث البراء رضي الله عنه مطولاً، وصححه ـ أيضاً ـ ابن القيم في «الروح» ص٨٨.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢])، الشاهد قوله: «**ربّ العالمين**»، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الثناء كلّه يستحقّه هو ﷻ، وهو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال الشيخ: **(وكل ما سوى الله عالَم، وأنا واحد من ذلك العالَم)**، وأنا واحد مخلوق من جملة المخلوقات، فالسموات والأرض وما فيهنّ عالَم، وقيل: سُمِّيت الموجودات عالماً؛ لأنها علامة على خالقها، ومدبّرها ﷻ.

(فإذا قيل لك: بِمَ عرفت ربك؟)؛ أي: بأي طريقة عرفت ربّك **(فقل)**: عرفته **(بآياته ومخلوقاته)**.

وأراد الشيخ بقوله: (بآياته ومخلوقاته): الآيات الكونية، والآياتُ الكونية: هي مخلوقاته، والعطف في قوله: **(آياته ومخلوقاته)** لا يدلّ على المغايرة في الوصف، فالآيات الكونية مخلوقات.

قال: **(ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهما)**، ولا يخفى أن الليل والنهار والشمس والقمر هي آيات ومخلوقات، والسموات والأرض ومَن فيهنّ هي آيات ومخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء]، فهذه الآيات الكونية.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت]). إذاً، هنّ مخلوقات، وآيات؛ أي: علامات على خالقها وصانعها ومُحكم نظامها.

(وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف])، فهو خالق هذه العوالم، وله الأمر، فهو الذي يدبّر هذه العوالم بأمره ﷻ.

ومعرفة العباد ربّهم بآياته معرفة عقلية؛ لأن من ينظر في هذه الآيات ويتدبّرها يُدرك أن لها خالقاً، وأن الذي خلقها حكيم وعليم وقدير وعظيم ﷻ.

والطريق الثاني لمعرفة الله هو: الوحي الذي بعث الله به رسله، فنعرف ربنا بأسمائه وصفاته بما بيَّن لنا في كتابه، ومنها أنه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحشر: ٢٣ ـ ٢٤]، هذا تعريف من ربّنا لنا بطريق الوحي والشرع، فالله عرَّف عباده بنفسه بآياته الكونية، وهي المخلوقات؛ وبآياته الشرعية، وهي آيات القرآن.

يقول الشيخ رحمه الله: **(والربّ هو: المعبود)**، والربّ الخالق لكل شيء المربّي لعباده بنعمه هو المستحق للعبادة ﷻ.

(والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة])، فأمر الله ﷻ جميع الناس أن يعبدوه ويتركوا عبادة ما سواه، وهذا هو معنى «لا إلٰه إلا الله»، وذكر ﷻ المعاني المقتضية لعبادته، وهي: أنه خالقهم وخالق آبائهم وخالق السموات والأرض، وهو الذي ينزِّل الغيث ويخرج الأرزاق، ومَن هذا شأنه فهو المستحق للعبادة، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ هذا يتضمن إثبات العبادة لله، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، يتضمن نفي إلٰهية مَن سوى الله؛ لأنه تعالى لا ندّ له.

(قال ابن كثير رحمه الله تعالى:) المفسّر الشهير في «تفسير القرآن العظيم» **(الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)**[(١)]. نعم، خالق السماوات والأرض، الذي جعل ﴿ٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢] أرزاقاً للعباد، هو الذي يستحقّ أن يُعْبد، هذا موجَب العقل، فمَن عبد مع الله غيره؛ فقد ضلَّ عن الصراط المستقيم، وعدل بالله العظيم مَن ليس مِثله، والله تعالى لا مِثل له، ومن عَبد مع الله غيره؛ فقد جعله ندّاً لله، ومثيلاً لله.

ثم قال الشيخ: **(وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكّل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلّها لله تعالى)**، هذه العبادة بأنواعها كلّها لله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ أي: لا نعبد غيرك.

والعبادة أنواع كثيرة:

منها أعمال قلبية، مثل: الخوف والرجاء والتوكّل والرغبة والرهبة والخشية.

ومنها أعمال ظاهرة، وهي: أعمال الجوارح؛ كالاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، ومنها: الركوع والسجود والصيام والحجّ والجهاد، وهناك أنواع أخرى، وإنما ذكر الشيخ هذه على سبيل المثال، ولهذا قال: **(وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله)**، فالعبادة محض حقّه سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٩٧ بمعناه.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن])، السجود والصلاة لله وحده، والمساجد إنما تُبنى لعبادته وحده لا شريك له، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾؛ أي: لا تعبدوا مع الله غيره، ولا تتوجّهوا بطلب الحوائج إلا إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف].

(فمن صرف منها شيئاً لغير الله؛ فهو مشرك كافر)؛ لأنه أشرك بالله؛ أي: عبد مع الله غيره، وجعله ندّاً لله في عبادته.

(والدليل قوله تعالى: (﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]).

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله؛ فهو مشرك كافر، وعمله حابط.

وبعد أن ذكر الشيخ أنواع العبادة؛ ذكر دليل كلّ واحدٍ منها.

قال: **(وفي الحديث: «الدعاء مخّ العبادة»[1]، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]).**

والآيات التي فيها الأمر بالدعاء والثناء على الدّاعين كثيرة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وفي الحديث: **«الدعاء مخّ العبادة»**.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

واستدلّ الشيخ بالآية والحديث على أن الدعاء من العبادة؛ لأنه تعالى قال في نفس الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾، والحديث الثابت لفظه عن النبيّ ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[(١)].

وقسَّم العلماء الدعاء إلى قسمين[(٢)]:

١ ـ دعاء المسألة، وهو الطلب الصريح؛ كقول العبد: اللّهمّ اغفر لي، اللّهمّ ارحمني، اللهمّ اهدني، مثل قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢ ـ ودعاء عبادة، وهي: سائر العبادات.

فالصلاة دعاء، والصيام دعاء، والحجّ دعاء، والذكر كله دعاء؛ أي: دعاء عبادة، وسُمّيت العبادة دعاء؛ لأن العبد طالب للثواب.

قال: (**ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]**)، فأمر الله بالخوف منه، وخوف الله من أجلّ أحوال القلوب وأفضلها؛ لأنه يمنع صاحبه من الإقدام على معصية الله.

وفي معنى الخوف: الخشية والرهبة، فمعانيها متقاربة، وكلها جاء ذكرها في القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، والآيات في ذكر الخوف كثيرة.

والخوف من الخلق أنواع: منه ما هو شرك؛ كالخوف من الأوثان والأموات، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يؤثرون بالنفع والضرّ،

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)؛ وصححه الترمذي (٢٩٦٩)؛ وابن حبان (٨٩٠) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) «مجموع الفتاوى» ١٠/٢٥٨؛ و«جِلاء الأفهام» ص١٦٠.

ومنه ما هو معصية؛ كالقعود عن الجهاد خوفاً من العدوّ وجباناً، وكترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من أذى الناس.

وأما خوف الإنسان من الأسباب المؤذية؛ كخوفه من العدو أو من السبع أو من غير ذلك من الأمور التي تضرّه، فهذا خوف طبيعي لا يأثم به ولا يذمّ.

(ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠])، والرجاء: هو الطمع في الفضل والعفو والرحمة.

وقد جمع الله بين هذين الوصفين ـ الخوف والرجاء ـ في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، والطمع هو: الرجاء.

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فالرجاء هو: طلب المحبوب.

والخوف: هو الحذر من المرهوب والمكروه، فالخوف من الله: خوف من عذابه، ومن سخطه.

ومن أنواع العبادة التوكّل، وهو: اعتماد القلب على الله، وتفويض الأُمور كلها إليه.

(ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، **وقوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣])، وأثنى على المؤمنين بالتوكل عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وهكذا يجب على المؤمن أن يتوكل على الله، ولا يتوكل على سواه.

قال: (**ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾** [الأنبياء: ٩٠]، **ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾** [المائدة: ٣])، وتقدّم.

قال الشيخ: (**ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾** [الزمر: ٥٤]).

والإنابة هي: الرجوع إلى الله في كل الأُمور، والإقبال عليه سبحانه وتعالى بعبادته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(**ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾** [الفاتحة]، **وفي الحديث: «وإذا استعنت فاستعن بالله»**[1].

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾** [الناس].

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]).

فالاستعانة: طلب العون، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ بمعنى: أطلب العون منك يا الله.

والاستعاذة: طلب العياذ والعصمة، تقول: أستعيذ بالله، أو: أعوذ بالله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) رواه أحمد ١/٢٩٣؛ والترمذي (٢٥١٦) ـ وقال: حسن صحيح ـ؛ والضياء في «المختارة» ١٠/٢٢ ـ ٢٥؛ وحسّنه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٣٤٥.

ﭐلنَّاسِ ﴿١﴾﴾، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والاستغاثة: طلب الغوث، والسين والتاء للطلب.

ومن أنواع العبادة: الذبح تقرُّباً وتعظيماً، (ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣])، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]، فقرن الله بين الصلاة والذبح، وهما يحصلان من المؤمن في يوم، في مثل يوم الأضحى؛ يصلي صلاة العيد ويذبح القربان، فيحقِّق الأمرَيْن.

(ومن السنّة: «لعن الله مَن ذبح لغير الله»[1]).

والذبح تقرُّباً إلى الله أنواع:

ـ الأضحية.

ـ والهدي في الحجّ أو العمرة.

ـ والعقيقة، وكلها من القرابين والأنساك التي جاءت بها الشريعة.

(ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان])، فأثنى الله ﷻ في هذه الآية على المُوفين بالنذر، والمراد: نذر الطاعة؛ لقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله، فليطعه**»[2]. أما نذر المعصية، فلا يجوز الوفاء به؛ لقوله ﷺ: «**ومن نذر أن يعصي الله، فلا يعصه**»[2]، فإذا نذر الإنسان أن يفعل طاعة وجب عليه أن يفي؛ كأن يقول: لله عليَّ أن أصوم يوماً، أو: لله عليَّ أن أتصدّق بكذا من المال، لكن ينبغي للإنسان أن لا ينذر؛ لأن النبيّ ﷺ نهى عن النذر، وقال:

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

«إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل»[(١)].

وقد ذمَّ الله الذين يُخلفون الوعد، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة]، فمن قال: إنْ شفى الله مريضي تصدّقت بكذا، فإذا شُفي مريضه أو حصل له المطلوب بخل، فهذا تلبّس بصفة من صفات المنافقين التي ذكرها الله في هذه الآية.

ثم قال الشيخ: **(الأصل الثاني)** من الأُصول الثلاثة التي تجب على العبد معرفتها: **(معرفة دين الإسلام بالأدلّة)**، والإسلام: هو دين الله الذي بعث به رسله من لدنّ نوح ﷺ، إلى محمد ﷺ.

قال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال تعالى في إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة]، وقال الحواريون أتباع عيسى عليه السلام: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

(وهو)؛ أي: الإسلام. **(الاستسلام لله بالتوحيد)**؛ أي: بعبادته وحده لا شريك له بالتوحيد، **(والانقياد له بالطاعة)**، **(و)** هذا الاستسلام والانقياد لا بدّ معه من **(البراءة من الشِّرك وأهله)**، وهذه هي حقيقة الإسلام الذي هو دين الرسل كلّهم.

قال الشيخ: **(وهو)**؛ أي: دين الإسلام **(ثلاث مراتب)**؛ أي: درجات، وبعضها أكمل من بعض، وأعلى من بعض.

المرتبة الأولى: **(الإسلام)**.

---

(١) رواه مسلم (١٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(و) الثانية: (الإيمان).

(و) الثالثة: (الإحسان). وهذه المراتب مستفادة من حديث جبريل عليه السلام، كما سيأتي.

قال الشيخ: (وكل مرتبة لها أركان).

(فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله الحرام).

فهذه هي أصول الدين الظاهرة، ثم ذكر الدليل على كل ركن من هذه الأركان، فقال: (فدليل الشهادة)؛ أي: فدليل شهادة أن لا إله إلا الله، (قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران])، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، والأدلّة على هذا كثيرة.

قال الشيخ: (ومعناها)؛ أي: شهادة أن لا إله إلا الله: (لا معبود بحقّ إلا الله)؛ أي: أن كل معبود سوى الله باطل.

فآلهة المشركين معبودة بغير حق، فهي باطلة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، ولما قال لهم النبيّ ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ [ص: ٥][(١)].

ثم بيّن الشيخ أن (لا إله إلا الله) مركبة من نفي وإثبات، وهما ركنا شهادة أن (لا إله إلا الله)، فقوله: (لا إله) نفي استحقاق العبادة عن كلّ

(١) رواه أحمد ١/ ٢٢٧؛ وصححه الترمذي (٣٢٣٢)؛ وابن حبان (٦٦٨٦)؛ والحاكم ٢/ ٤٣٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ما سوى الله، («لا إلٰه» نافياً جميع ما يُعبد من دون الله)، وإثبات في قوله: («إلا الله» مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه)، فإذا كان هو الذي له الملك كلّه، وهو خالق كل شيء؛ فيجب أن يكون هو المعبود وحده.

قال الشيخ: (وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف])، هذه الآية دلّت على أن كلمة التوحيد تتضمن البراءة من المشركين وشركهم، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]، فكلمة التوحيد تتضمن البراءة من المشركين وشركهم، وما يعبدون من دون الله.

(و) مما يُفسّرها (قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران])، فعُلم أن كلمة التوحيد تتضمن إفراده تعالى بالربوبية والألوهية، فلا يتّخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ولا يعبد الناس أحداً غير الله، فإذا أعرض الكفار والمكذّبون عن هذا الأمر: ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، مستسلمون لله عابدون له لا نشرك به شيئاً.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ودليل شهادة أن محمداً رسول الله، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة])؛ يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ممتنّاً على عباده بإرسال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو رجل منهم يعرفون نسبه وسيرته، ويشقّ عليه الذي يشقّ عليهم، وهو حريص على هدايتهم، حتى أنه كان يتحسّر إذا لم يستجيبوا، ولهذا قال الله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾؛ أي: رحيم بالمؤمنين، والله تعالى قد خصّهم بقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

(ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله)؛ أي: حقيقة الإقرار والتصديق واليقين بأنه رسول من عند الله إلى جميع الناس، ومقتضى هذه الشهادة: **(طاعته فيما أمر)**، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾ [التغابن: ١٢] في مواضع كثيرة، ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(وتصديقه فيما أخبر)، فهو أصدق الناس. **(واجتناب ما عنه نهى وزجر)**.

(وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع)، فعبادة الله لا بدّ فيها من شرطين:

- الإخلاص لوجه الله.

- وموافقة أمر الله ورسوله، وهو المقصود بقوله: (وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع)، فمن عبد الله بغير ما جاء به الرسول ﷺ، فعمله باطل؛ لأنه عمل مبتدع.

قال الشيخ: **(ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة])**، فهذه الثلاثة هي أعظم أركان الإسلام، والكتاب والسنّة تجمع بينها في مواضع متعددة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾؛ أي: من الشِّرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، فأعظم هذه الأُصول عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله، وبعد ذلك إقام الصلاة، فالصلوات الخمس هي عمود الإسلام، وهي أوجب الواجبات بعد

التوحيد، والزكاة قرينتها في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

فالصلاة هي حق الله على عباده في كل يوم وليلة، والزكاة حق الله على عباده في أموالهم، قال النبيّ ﷺ في حديث معاذ: «**فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُردّ على فقرائهم**»[(١)].

قال الشيخ: (**ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾** [البقرة]).

أي: فرض عليكم الصيام، والمراد: (صيام شهر رمضان) كما بيَّن ذلك في الآية التي بعدها ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس**»[(٢)]، وذكر: صيام رمضان، فصيام شهر رمضان هو أحد مباني الإسلام.

قال الشيخ: (**ودليل الحجّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧]).

هذا هو الركن الخامس من أركان الإسلام ومبانيه العظام؛ فرضه الله على المستطيع من عباده مرّة في العمر.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**المرتبة الثانية**): من مراتب الدين، (**الإيمان**)، وهي أعلى من التي قبلها؛ لأنها تتعلق باعتقاد القلب.

قال الشيخ: (**وهو**)؛ أي: الإيمان (**بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**[(٣)]).

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥)؛ ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٢) رواه البخاري (٨)؛ ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٣) رواه مسلم (٢٥) بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالإيمان له شُعَب كثيرة ظاهرة وباطنة، أفضلها كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله)، وهي أصل دين الرسل كلهم من أوّلهم إلى آخرهم، وهي مع شهادة (أن محمداً رسول الله)، أصل هذا الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ، فهما جميعاً أصل واحد وبناء واحد، وأدنى هذه الشعب إزالة الأذى عن طريق الناس، وهذا يدلّ على أن الإيمان قولٌ وعمل، وهو مذهب أهل السنّة والجماعة.

قال الشيخ: **(وأركانه)**؛ أي: الإيمان **(ستة)**، وهي: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه)**.

هذا طرف من حديث جبريل، كما سيذكره الشيخ، والمراد من الإيمان هنا: الاعتقاد، والإيمان بهذه الأصول الستة إجمالاً فرض عين على كل مكلف. وأما معرفتها والإيمان بها تفصيلاً، فهو فرض كفاية، ولكن مَن علم شيئاً من ذلك التفصيل وجب عليه الإيمان به عيناً.

الأصل الأول: الإيمان بالله، ويشمل:

- الإيمان بوجوده.
- والإيمان بربوبيته.
- والإيمان بإلٰهيته.
- والإيمان بأسمائه وصفاته.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة، ويشمل:

- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

وهذا في القرآن كثير، فمنهم الحَفَظة الكاتبون؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار]، ومنهم الحفظة للعبد من بين يديه ومن خلفه؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ومنهم الموكلون بقبض أرواح

العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ومنهم الموكل بإبلاغ الوحي إلى الرسل، كجبريل عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب، ويتناول الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب ما علمنا منها، وما لم نعلم، وقد علمنا أن من كتب الله المنزلة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وهو: أفضلها، والمصدق لها، والمهيمن عليها.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل، وهو قسمان:

ـ إيمان مجمل بجميع رسل الله؛ من قصّ علينا منهم ومَن لم يقصص ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، فنؤمن بأن الله أرسل رسلاً إلى العباد ليأمرونهم بعبادته وحده لا شريك له، وينهونهم عن الشِّرك به.

ـ إيمان مفصل بالرسل الذين قصّ الله علينا شيئاً من أخبارهم.

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، والإيمان باليوم الآخر يشمل كل ما يكون بعد الموت؛ من عذاب القبر ونعيمه، وما بعد ذلك من البعث والنشور والحشر والعرض والميزان، وآخر ذلك الجنّة والنار.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر، وهو الإيمان بأن الله قدّر مقادير الخلق، وكتب كل ما سيكون.

والإيمان بالقدر أربع مراتب:

١ ـ الإيمان بعلم الله السابق لكل شيء، ومن ذلك علمه بأفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم.

٢ ـ الإيمان بكتابته للمقادير.

٣ ـ الإيمان بعموم مشيئته، وأنه لا يخرج عن مشيئته شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٤ ـ الإيمان بأنه ـ تعالى ـ خالق كل شيء.

ولا يكون الإنسان مؤمناً بالقدر حتى يؤمن بهذه المراتب.

(والدليل على هذه الأركان الستّة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، **ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾** [القمر]).

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المرتبة الثالثة)** من مراتب الدين **(الإحسان)**، وهو **(ركن واحد)**.

والإحسان أعلى مرتبة من مراتب الدين، ويشمل الإيمان والإسلام، ولهذا يقول العلماء: كل مؤمن مسلم، ولا عكس، وكل محسن مؤمن، ولا عكس.

والإحسان فسّره الشيخ بما فسّره به النبيّ ﷺ في حديث جبريل، والإحسان الذي أمر الله به عباده وأثنى على أهله في كتابه نوعان:

الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

الإحسان في العمل: وهذا هو المقصود هنا، والمراد: إتقانه وإيقاعه على أكمل الوجوه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

قال: **(وهو)**؛ أي: الإحسان **(أن تعبد الله كأنك تراه)**، والمعنى: أن تُقبل على عبادة الله كأنك تراه.

والعباد لا يرون ربّهم في الدنيا، وإنما يرونه يوم القيامة، كما دلّت على ذلك الآيات والأحاديث، ولكن المؤمن الصادق يُحسن في عبادته لربّه، فيعبده كأنه يراه خائفاً راجياً مقبلاً خاضعاً لربّه متذلّلاً، ومَن كان على هذه الحال؛ فمعلوم أنه سيكون في غاية من الإقبال والصدق في العبادة.

قال: **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**، والعبد لا يرى ربّه، ولكن الله يراه، فينبغي للمسلم أن يستحضر اطلاع الله عليه وشهوده له، فيوجب له ذلك تحقيق العبودية، وكمال الإقبال.

قال: **(والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل])**؛ اتّقوا ربهم وأحسنوا في تقواهم، وهذه هي: معية الله الخاصة قيّدها بالمتّقين، ونظير ذلك قوله سبحانه عن نبيّه ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وهذه المعية تقتضي: التأييد والحفظ والنصر.

(وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء])، والمعنى: اعتمد بقلبك وفوّض جميع أمورك إلى من يراك وأنت قائم في عبادته، وأنت بين الساجدين ومعهم؛ فإن توكلت عليه فإنه كافيك، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وهذا ظاهر الدلالة على معنى قوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»[1].

(وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١])، ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾؛ أي: حال من أحوالك الدينية والدنيوية ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾؛ أي:

---

(١) سيأتي في ص٣٤ مطولاً.

وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك، وهذا أخصّ من قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾، وخصّها بالذِّكر؛ لأنّ تلاوته للقرآن من أعظم شؤونه ﷺ، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ هذا هو الشاهد؛ والمعنى: إلا كنّا حاضرين وقت شروعكم فيه واستمراركم على العمل به، فراقبوا الله في أعمالكم وأدُّوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، وإياكم وما يكرهه الله تعالى، فإنه مطّلع عليكم عالم بظواهركم وبواطنكم.

وكل هذه الآيات تدلّ على مقام الإحسان، وأن الله سبحانه وتعالى يرى عبده في جميع أُموره، وفي جميع أحواله، فهو حاضر يسمع كلام العبد ويرى مكانه، ويعلم سرّه وعلانيته، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [القصص]، فإذا استحضر العبد ذلك كان من أسباب إقباله على ربّه، وصدقه في عبادته، وتكميله لها، ولكن بسبب الغفلة والذهول عن هذا الأمر يؤدي الإنسان العبادة بفتور، والمؤمن يؤمن بأن الله يراه، ولكن فرّق بين الإيمان بهذا الأمر، وبين الشعور به واستحضاره.

وكثير من الناس لا يستحضر هذا الأمر، فهذا مقام عظيم، إنما يحقّقه الكُمَّل من المؤمنين.

وتقدّم أن دين الإسلام ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقد ذكرها الشيخ، وذكر أركانها ومعناها، وأدلّتها من القرآن، ثم قال: **(والدليل من السنّة حديث جبرائيل المشهور عن عمر** رضي الله عنه**)**؛ أي: الدليل على ما تقدّم كله من السنّة النبوية، وإذا أطلق حديث جبريل يراد به هذا الحديث، وقد روى هذا الحديث مسلم عن عمر رضي الله عنه[1]، ورواه أيضاً هو والبخاري بلفظ مختلف قليلاً عن أبي هريرة رضي الله عنه[2] **(قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ؛ إذ طلع علينا**

---

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه البخاري (٥٠)؛ ومسلم (٩).

رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منّا أحد) ظهر علينا من طريق أو من باب بهيئة طيبة وجميلة، ولكنه غير معروف، يقول: **(حتى جلس إلى النبيّ ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيه على فخذيه)**؛ يعني: جلس قريباً منه، فأسند السائل ركبتيه إلى ركبتي النبيّ ﷺ، ويديه على فخذي النبيّ ﷺ مبالغة في القرب، ومبالغة في السؤال. **(وقال: يا محمد)** خاطبه باسمه؛ لإظهار أنه جاهل لا يعرف حُسن الخطاب؛ لأن عادة الأعراب إذا جاءوا إلى الرسول ﷺ يقولون: يا محمد! أما الصحابة الذين حَسُن إسلامهم لا يقولون للرسول: يا محمد! وإنما يقولون: يا رسول الله! أو: يا نبيّ الله! وهذا أشرف ما يُدعى به ﷺ، كما خاطبه الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾.

(أخبرني عن الإسلام)؛ أي: ما هو الإسلام؟ **(فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام: أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله ﷺ، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا»)**.

(قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدّقه) العادة أن السائل لا يقول: صدقت، بل يقول: جزاك الله خيراً، أحسن الله إليك، ونحوها، ولكن قوله: (صدقت) يدلّ على أن عنده خبراً، وهذا هو محلّ العجب.

ثم **(قال: فأخبرني عن الإيمان)** هذا هو السؤال الثاني: ما هو الإيمان؟

(قال: أن تُؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)؛ فسّر الإيمان بهذه الأُصول الستّة، وهذه كما تقدّم هي أصول الاعتقاد، فجميع مسائل الاعتقاد ترجع إلى هذه الأُصول؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «اعتقاد الفرقة

الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنّة والجماعة ـ: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله...»[١].

(قال: صدقت) مثل ما قال في الأول **(قال: فأخبرني عن الإحسان)**، ما هو الإحسان؟

(قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، والمراد: إحسان العمل وإتقانه بتحقيق المراقبة، وكمال الإخلاص.

(قال: فأخبرني عن الساعة؟) متى الساعة؟ أي: القيامة، **(قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)**؛ أي: علمي وعلمك بها سواء، فإذا كنتَ لا تعلمها، فأنا كذلك لا أعلمها.

(قال: فأخبرني عن أمارتها)؛ أي: علامات قيامها **(قال: أن تَلِد الأَمة ربّتها)** وفي لفظ: (ربها)، الأَمَة: هي الأُنثى المملوكة تلد ربّها أو تلد ربّتها، اختُلف في معنى ذلك، وأحسن ما قيل: إنه إذا كَثُر الرقيق فربما ولدت المرأة ابناً ثم فارقته بسبب الرقّ، ثم اشتراها ولدها وهو لا يدري أنها أُمُّه، فيصير سيداً لها، وقيل: إن الأَمَة إذا وطئها سيدها فولدتْ، فولدُ سيدِها سيّدٌ لها.

(وأن ترى الحفاة العراة العالة) الحفاة: غير المنتعلين، والعراة: غير المُكتسين، والعالة: الفقراء **(رِعَاء الشَّاء)** الذين من عادتهم رعي الغنم **(يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)**، والمراد: إذا رأيت سكان الصحراء يهبطون إلى القرى، ويبنون فيها المساكن ويتنافسون في طول البنيان، فهذا من علاماتها. وعلامات قيام الساعة كثيرة، كما جاءت الأدلّة بذكرها.

(قال: فمضى)؛ أي: خرج الرجل ومشى، قال: **(فلبثنا ملياً)**؛ أي: زمناً، وفي رواية: **(فلبثت ثلاثاً)**[٢]، **(فقال: يا عمر! أتدري من**

---

(١) «الواسطية» ص٢١.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٠) ـ وصححه ـ؛ والنسائي ٨/٩٧.

السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلِّمكم أمر دينكم).

فهذا الحديث العظيم اشتمل على فوائد كثيرة، فقد اشتمل على ذِكر أُصول الدين الاعتقادية والعملية، وذكر مقامات الدّين ومراتبه، وفيه الدلالة على أن الساعة مما استأثر الله بعلمه، وفيه دليل على بعض علاماتها: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: علاماتها.

قال: **(الأصل الثالث: معرفة نبيّكم محمد ﷺ)** من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها، وهي مدار العلم.

وتقدّم ذكر المرسِل: وهو الله تعالى، والرسالة: وهي دين الإسلام، والآن يتحدث الشيخ عن المرسَل أو الرسول، وهو محمد ﷺ، فمعرفته واجبة.

ثم ذكر الشيخ تعريفاً موجزاً عن النبيّ ﷺ، ومن ذلك ذكر نسبه، قال: **(وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش)**؛ ولهذا يُقال له هو وقبيلته: بنو هاشم، وهاشم من قريش، وهو: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، إلى أن ينتهي نسب النبيّ ﷺ إلى عدنان.

يقول: **(وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام)**. إذاً؛ نبيّنا محمد ﷺ ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وقد قال ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[١].

ثم ذكر الشيخ عُمُر الرسول ﷺ، فقال: **(وله من العمر: ثلاث**

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

وستون سنة، منها أربعون قبل النبوّة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً)؛ مضى عليه أربعون وهو لا يعلم شيئاً مما جاءه ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس]، وثلاثة وعشرون سنة كان نبياً رسولاً ﷺ.

ثم ذكر الشيخ ما نُبّىء به وأرسل به من القرآن، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نبىء بـ«اقرأ»)**؛ أي: أنه أُوحي إليه فصار نبياً بنزول أوائل سورة العلق؛ جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ وهو يتعبّد في غار حراء ـ، فقال: «**اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء،** قال: **فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني، فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾»[1]، وبهذا صار نبياً.

(وأرسل بـ«المدثر»)؛ لأن فيها التنصيص على الأمر بالنذارة.

(وبلده مكّة، وهاجر إلى المدينة)، ثم ذكر الشيخ بلد الرسول ﷺ، وهي مكّة؛ البلد الحرام وأفضل بلاد الله، وأحب البلاد إلى الله.

إذاً، فالله تعالى اصطفى أفضل الرسل من أفضل البلاد، وأفضل الشعوب وأشرف القبائل ﷺ.

قال الشيخ: **(بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر]، **ومعنى:** ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾**: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد،** ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾**؛ أي: عظّمه بالتوحيد،** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾**؛ أي: طهِّر أعمالك**

---

(١) رواه البخاري (٣)؛ ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

عن الشِّرك، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾؛ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة منها وأهلها).

المدّثر هو: الملتحف؛ لأنه جاءه الملك وهو على هذه الحال، وقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: أنذر الناس عذاب الله وحذّرهم من أسبابه، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾: عظِّمه بتوحيده وإخلاص الدين له وطاعته، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾؛ أي: طهِّر أعمالك من الشرك والمعاصي، ونزِّه أخلاقك عن الأخلاق الرذيلة، وقيل: طهِّر ثيابك من النجاسات.

يقول الشيخ: **(أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء)** عشر سنين وهو يدعو إلى التوحيد، ويأمر بالأخلاق والعفاف والصلة والصدقة، ثم أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به من هناك إلى السماء وشاهد ما شاهد، ولقي مَن لقي من الأنبياء **(وفُرِضت عليه الصلوات الخمس)** فُرِضت خمسين ثم لم يزل يطلب من ربّه التخفيف حتى صارت خمساً، **(وصلّى في مكة ثلاث سنين)** بعد ما فُرِضت عليه الصلوات الخمس **(وبعدها؛ أُمِر بالهجرة إلى المدينة)**؛ لأنه أُوذي ﷺ هو وأصحابه في مكة، فهاجر بعض أصحابه إلى الحبشة مرّتين، ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، بعدما انتشر الإسلام فيها وصارت دار إسلام، وبعد أن وفد إليه الأنصار وبايعوه على أنه إذا أتاهم يحمونه وينصرونه، فهاجر ﷺ هو وأبو بكر رضي الله عنه.

قال: **(والهجرة)** حقيقتها **(الانتقال من بلد الشِّرك إلى بلد الإسلام)**.

والهجر في اللغة: الترك، فالانتقال فيه ترك، الانتقال ترك للبلد التي ينتقل منها إلى بلد آخر، وهذه الهجرة الخاصة. أما الهجرة العامة، فهي هجر ما نهى الله عنه؛ كما في الحديث الصحيح، عن النبيّ ﷺ:

«**المهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه**»[١]، من كل المعاصي.

يقول الشيخ: **(والهجرة فريضة على هذه الأُمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء])**.

ففي هذه الآية دلالة على أن الملائكة توبّخ الذين أسلموا وبقوا مُسْتَخْفين لا يُظهرون دينهم، بل يُظهرون أنهم على دين قومهم من غير ضرورة ولا إكراه ومع قدرتهم على الهجرة، وتنذرهم سوء المصير؛ لأن الأرض واسعة يمكن للمضطهد والمستذلّ والمظلوم أن يتحوّل إلى نواحي أرض الله الواسعة ليجد مكاناً يراغم فيه الأعداء، واستثنى من الوعيد المستضعفين، فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، **(و)** كذلك من الأدلة **(قوله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت])**. وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيها على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، وأن يوحّدوا الله ويعبدوه كما أمرهم.

(قال البغوي رحمه الله تعالى) المفسّر المعروف، حسين بن مسعود صاحب تفسير «معالم التنزيل»: **(سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان)**[٢]، فإذا كان الإنسان في بلد الشرك والكفر، وهو لا يستطيع أن يُظهر دينه وجب عليه أن يهاجر ويفارق أرض المشركين وأرض الكفار.

---

(١) رواه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(٢) معالم التنزيل ٢/ ٢٧٢ بمعناه.

(والدليل على الهجرة من السنّة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)])، فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلق باب التوبة، فلا يمكن لأحد أن يتوب؛ لا الكافر من كفره، ولا العاصي من معصيته، وفي الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذاك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[(٢)] .

وتقدّم أنه ﷺ أقام بمكّة ثلاث عشرة سنة، ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة، **(فلمّا استقرّ بالمدينة أُمِر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة والصوم والحجّ والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام)**؛ لأنه في مكّة أول ما فُرِض عليه من أركان الإسلام العملية: الصلوات الخمس، وفي المدينة أُمِر ببقية شرائع الإسلام، وبعضهم يقول: إن الزكاة فُرضت في مكّة، ولكن تفاصيل أحكامها كان في المدينة، وفُرِض الصيام في السنة الثانية من الهجرة، فصام النبيّ ﷺ تسع رمضانات فقط.

وفرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح، وأُمِر بالأذان للصلاة ولم يكن مشروعاً قبل ذلك، وشُرِع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، فسُيِّرت السرايا والجيوش من المدينة لغزو الكفار وحربهم؛ لأن الدولة النبوية تكوّنت في المدينة.

يقول الشيخ: **(أخذ على هذا عشر سنين)** وهو في المدينة، **(وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه)**، في ربيع الأول من السنة العاشرة؛ بل

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٩٩؛ وأبو داود (٢٤٧٩) من حديث معاوية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» ٥/ ٣٣.

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٥) ـ واللفظ له ـ؛ ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

على التاريخ المعروف تكون في السنة الحادية عشرة، فتمّ له عشر سنين في المدينة لأنه قدم في ربيع الأول وتوفي في ربيع الأول، فهذه عشر سنين.

يقول الشيخ: **(ودينه باقٍ، وهذا دينه، لا خير إلا دلّ الأُمة عليه، ولا شرّ إلا حذّرها منه، والخير الذي دلّ عليه: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشرّ الذي حذّر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه)**، وقد توفي ﷺ، ولكن دين الله باقٍ محفوظ؛ لأن الله قد ضمن حفظه، ولما مات وفُجع الناس بموته صلوات الله وسلامه عليه، وطاشت العقول، جاء أبو بكر رضي الله عنه وخطب الناس وبيّن لهم أنه بشر، وأنه سيموت، وقال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت»، وتلا عليهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[1] الآية [آل عمران: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر].

قال الشيخ: **(بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجنّ والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨])**.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فهو رسول الله إلى جميع الناس، إلى اليهود والنصارى والوثنيين وسائر البشر، إلى العرب والعجم، ومن قال: إنه رسول إلى العرب دون غيرهم، فهو كافر لم يشهد أن محمداً رسول الله، كما يزعم بعض النصارى ويقول: صحيح أن محمداً رسول، لكنه رسول إلى العرب. ومن يظن هذا من المسلمين أو يعتقده، فهو مرتدّ عن الإسلام.

(١) رواه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٨٨).

فكل من خرج عن شريعة محمد ﷺ، فهو كافر، وفي نار جهنم إن مات على ذلك كما في الحديث الصحيح؛ أن النبيّ ﷺ، قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأُمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(١)]؛ وذلك لأن دين اليهود والنصارى الذي يتديّنون به الآن دين باطل.

يقول الشيخ: **(وأكمل الله به الدين)** أكمل الله برسالته ﷺ الدين، فقد جاء بالشريعة الخالدة الكاملة.

(والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]).

وهذا الدين محفوظ باقٍ ببقاء أهله إلى أن تقوم الساعة، في الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ: «**لا يزال من أُمتي أُمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»[(٢)]، **(والدليل على موته ﷺ قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر]).

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والناس إذا ماتوا يُبعثون، والدليل قوله تعالى:** ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾[طه: ٥٥]، **وقوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ [نوح]، **وبعد البعث محاسَبون ومجزيُّون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:** ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١]).

بعد ما ذكر الأُصول الثلاثة أتبع ذلك بذكر أصل من أُصول الإيمان، وهو: الإيمان بالبعث بعد الموت، وهذا هو الذي كَفَر به أعداء

---

(١) رواه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١) ـ واللفظ له ـ؛ ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الرسل الأوّلون والآخرون، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق]، وقد أمر الله نبيّه أن يقسم بربّه على وقوع البعث، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس].

فالإيمان بالبعث أصل من أصول الإيمان ويُعبَّر عنه باليوم الآخر، والآيات في ذكر البعث كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه]، فالله خلق الناس من تراب ثم يُعيدهم في التراب ثم يخرجهم تارة أخرى، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ [نوح]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون].

يقول الشيخ: **(ومن كذَّب بالبعث كفر)** حتى لو آمن بالله؛ لأنه أنكر أصلاً من أصول الإيمان، والتكذيب بالبعث يتضمن تكذيب الرسل كلهم، **(والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن])**. إذاً؛ إنكار البعث هو من عقائد أهل الكفر، كما في هذه الآيات.

والبعث: المراد به إخراج الناس من قبورهم ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار].

والبعث له غاية، وهو: الحساب والجزاء، فالناس بعد البعث محاسَبون ومجزيُّون على أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ [الزلزلة]، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية].

ويوم القيامة له أسماء كثيرة، منها:

يوم القيامة، ويُقال له: الساعة، ويوم النشور، ويوم الحساب، ويوم الدين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار].

فهذه الحياة الدنيا ليست كما يظنّها الكافرون دائمة، وأنها أجيال تنقرض وتذهب، وأجيال تظهر وتنشأ إلى ما لا نهاية؛ لا، الأمر ليس كذلك؛ فهذه الدنيا لها عمر، ولها نهاية وأجل، وأجلها هو: قيام القيامة الذي استأثر الله بعلمه، وكتمه عن خلقه فلا يعلمها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل.

ثم إذا قامت القيامة وبُعِث الناس من قبورهم، جمع الله الأوّلين والآخرين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ الآيات [الواقعة].

واليهود والنصارى يؤمنون بالبعث، لكن ليس على الوجه الذي دلّت عليه نصوص القرآن والسنّة، وإذا آمنوا به وآمنوا بالجنّة والنار، فلهم عقائد في البعث وفي الجنة والنار باطلة، ولو آمنوا به إيماناً صحيحاً لكانوا كفاراً بتكذيبهم رسالة محمد ﷺ.

فالكفر: يكون باعتقاد الشخص عقيدة واحدة من عقائد الكفر أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فالمشركون كفروا بأشياء كثيرة: بالشرك وبتكذيب الرسول ﷺ، وبجحد اليوم الآخر، فعندهم أنواع من الكفر.

ولا يجازى الإنسان على العمل السيىء بأكثر مما عمله، وإنما

يجزى بمثل عمله، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام]، وهذا من كمال عدل الله وفضله وإحسانه، واستدلّ الشيخ لذلك بقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾. أما المحسنون، فقال الله تعالى: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، فهم يجزون بأفضل مما عملوا، وبأكثر من أعمالهم، والحسنى (فعلى) بمعنى: الأحسن؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر]، هذا الشاهد: ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

يقول الشيخ رحمه الله: **(وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين)** بعد ما ذكر الشيخ من أصول الإيمان البعث والحساب والجزاء؛ ذكر أصلاً آخر من أصول الإيمان، وهو: الإيمان بالرسل.

فالله أرسل الرسل لقطع العذر وإقامة الحجة، حتى لا يقول قائل: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤]، فهم مرسلون ليبشّروا مَن أطاعهم بوعد الله وثوابه وكرامته، وينذروا مَن عصاهم بالعقاب.

(والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]).

(و) هؤلاء الرسل **(أوّلهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم)** بعث الله نوحاً إلى قومه، وهم أهل الأرض إذ ذاك لما حدث فيهم الشرك، فأقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم، ثم أوحى الله إليه؛ أنه لن يؤمن من قومك إلا مَن قد آمن، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وآخر هؤلاء الرسل هو نبيّنا محمد ﷺ، خُتِمت به النبوّة والرسالة، فلا نبيّ بعده، وهو نبيّ الساعة؛ لأنه بُعِث بين يدي الساعة، يقول النبيّ ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**»(١).

يقول الشيخ: (**والدليل على أن أوّلهم نوح** عليه السلام **قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]**)، فذكر الله في هذه الآية أول الرسل وآخرهم ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ وهو آخرهم، ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ وهو أوّلهم، فجمع الله في هذه الآية بين طرفي سلسلة الرسل.

قال: (**وكل أُمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد ﷺ؛ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت. والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]**).

دين الرسل كلهم واحد هو الإسلام، فكل رسول بعثه الله إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة الطاغوت، ويدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، فهذا يدلّ على أن دعوة الرسل واحدة، ودينهم واحد هو: الإسلام، لكن الشرائع، وكيفية العبادات تتنوّع وتختلف، وهناك عبادات في الشرائع الماضية موجودة في هذه الشريعة، فهي مشتركة؛ كالصلاة والزكاة والصيام، بل والحجّ، كما دلّت على ذلك النصوص.

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٥٠ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وفي إسناده كلهم وله شاهد مرسل، انظر: «إرواء الغليل» ٥/ ١٠٩.

وإرسال الرسل رحمة من الله للبشر، ولولا ذلك لتخبّطوا في الظلمات ولَما اهتدوا إلى الطريق القويم، ولكن رسل الله جاءت تترا واحد بعد واحد؛ أرسل الله نوحاً ثم هوداً ثم صالحاً، وكان آخرهم خاتم النبيّين محمد ﷺ؛ أرسله الله إلى الناس أجمعين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال الشيخ: **(وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله)**، وهذا هو أول واجب على العبد، فالكفر بالطاغوت البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، والإيمان بالله هو: الإيمان بربوبيّته وإلٰهيته.

ثم نقل الشيخ تفسير ابن القيّم لمعنى الطاغوت، فقال:

(قال ابن القيّم رحمه الله تعالى): ـ وهو الإمام المعروف بالعلم والتحقيق والاجتهاد، وصاحب المؤلفات الكثيرة ـ يقول: **(الطاغوت ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع)**[1]؛ أي: أن كل مَن غلا فيه الإنسان وتجاوز به الحدّ، فرفعه عن منزلته فهذا هو الطغيان والغلوّ.

يقول: (من معبود أو متبوع أو مطاع) فمن عبَد غير الله، فقد تجاوز به الحدّ، فإن المخلوق عبد لا يرتفع إلى منزلة الإلٰهية (أو متبوع)؛ أي: إمام له أتباع، فمن اتخذ له إماماً وتجاوز به الحدّ بأن جعله بمنزلة الرسول ﷺ، وأنه معصوم؛ فهذا المتبوع إذا كان راضياً بما يفعله هؤلاء الأتباع، فهو طاغوت.

وكذلك مَن له سلطان على الناس إذا غلا فيه الناس حتى جعلوا طاعته لازمة كطاعة الله ﷻ، وطاعة الرسول ﷺ، فقد تجاوز الإنسان بهذا المطاع حدّه.

يقول الشيخ: **(والطواغيت كثيرة)** هناك كمٌّ هائل يُعبد من دون الله

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).

(ورؤوسهم خمسة)؛ أي: كبارهم ورؤساؤهم **(إبليس لعنه الله)** هذا هو طاغوت الطواغيت، إبليس اللعين، وينبغي أن تقول: اللّعين ولا تقول: لعنه الله؛ لأننا لم نتعبّد بالدعاء عليه، إنما تُعبّدنا بالاستعاذة بالله من شرّه في مواضع كثيرة: في افتتاح الصلاة، وقبل تلاوة القرآن، وعند دخول الخلاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وفي مواضع كثيرة ذكرتها النصوص.

(ومن عُبِد وهو راضٍ) احترازاً من الأنبياء والملائكة، فإن بعض المشركين يعبدهم، ولكنهم غير راضين بذلك، بل يتبرّءون من عابديهم **(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)**؛ أيُّ طغيان فوق هذا الطغيان، أن يدعو الناس إلى أن يعبدوه؟! ومَن أطاعه فقد تجاوز به الحدّ **(ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب)**، فإن ذلك يناقض قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو طاغوت.

(ومن حكم بغير ما أنزل الله)، فهو طاغوت، وقد يكون كافراً، وقد لا يكون كافراً، لكنه طاغوت؛ لأنه تجاوز بهذا الحكم حدّه، ومن أطاعه في ذلك ووافقه في ذلك، فقد غلا فيه وتجاوز به حدّه.

ثم ذكر الشيخ الدليل على وجوب الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، يقول: **(والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦])**.

يقول الشيخ: **(وهذا معنى: لا إلٰه إلا الله)**؛ أي: أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، هو: معنى لا إلٰه إلا الله.

قال الشيخ: **(وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»(١))**، هذا طرف من حديث معاذ الطويل

(١) رواه أحمد ٥/٢٣١؛ والترمذي (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح.

الذي رواه الترمذي وغيره، قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنّة ويُباعدني عن النار، قال: «**لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه**» ـ إلى أن قال النبيّ ﷺ لمعاذ ـ: «**ألا أُخبرك برأس الأمر كلّه، وعموده وذروة سنامه؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام**»؛ أي: رأس الأمر وأوّله وأعلاه هو الإسلام، الذي هو معنى: لا إلٰه إلا الله.

قال: (وعموده الصلاة) التي هي: أوجب الواجبات على المسلمين بعد التوحيد.

قال: (وذروة سنامه الجهاد)؛ أي: أعلاه، فإذا كانت سوق الجهاد قائمة، وراية الجهاد مرفوعة، فهذا عنوان العزّ ـ عزّ الإسلام وأهله ـ، ومتى ترك الناس الجهاد ـ كما هو الواقع ـ ذلُّوا وهانوا.

(والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم).

تمّ،

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة